﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾

[الأعراف: 51]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الرّبْطُ بين بيانِ حِـرمـانِ أهـلِ الكُفرِ منَ الجنّةِ، ودُخولِهم النّارَ باللّهوِ والاغْتِرارِ

لمّا ذكَرَ اللّهُ تعالى تحريمَ ما رَزَقَ به أهلَ الجَنَّة مِن النَّعيم على أصحابِ النّار، مَعَ بيانِ علَّةِ ذلكَ: وهو الكُفْرُ؛ ذكرَ أوصافَ الكافرينَ بأنَّهم كانوا السَّبَبَ في هذا الحِرْمانِ والمَنْعِ؛ إذِ اتخذوا دينَهُم لهوًا ولعبًا إرضاءً لشهواتهم وملذّاتهم، وما فعلوه في الدّين من أعمال لا تُزكّي النَّفْسَ، ولا تجعلُها أهلًا لِلْكَرامَةِ والتَّشريفِ، بَل هيَ: إمّا لهوٌ يشغَلُ الإنْسانَ عمّا يُفيدُ مِنَ الأعْمال، وإمّا لَعِبٌ لَيْسَ وراءَهُ فائدَةٌ صَحيحةٌ، فقال سُبْحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَهۡوٗا﴾: اللّام والهاءُ والحرفُ المعتلُّ تدلُّ كثيرٌ مِن تصاريفِها على شُغْلٍ عن شيءٍ بشيءٍ آخرَ، ومِنْهُ اللَّهْوُ، وهو: كلُّ شيءٍ شغَلَ عَن شيءٍ[2]، ويُطْلَقُ علَى ما يَشْغَلُ الإنْسانَ عَمّا يَعْنيه، وَيَهُمُّهُ[3]، لا على مُطْلَقِ الشّاغِلِ، ومِنْهُ قولُ اللّهِ تَعالَى: ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الأنبياء: 3] أي: مُتشاغِلَةً عمّا يُدْعَوْن إلَيْه[4].ومعنى قولِ اللّهِ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا﴾، أي: اشْتِغالًا بِما مِنْ شَأْنِه أنْ يُنْسِيَ كُلَّ نافعٍ[5].

2) ﴿وَلَعِبٗا﴾: لَعِبَ، يلعَب، لَعِبًا، ولَعِب فلانٌ؛ إذا كان فعله غيرَ

(1) المراغي، تفسير المراغي: 8/164.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لهو).
(3) الرّاغب، المفردات: (لهى).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (لهى).
(5) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/409.

قاصدٍ به مقصدًا صحيحًا، ومادة: اللّام والعَيْنُ والباءُ تدورُ اشتقاقاتُها على معنى اضْطِرابٍ وتَسَيُّبٍ فيما يَصْدُرُ عَنِ الشَّيْءِ، بِسَبَب تَجَمُّع حَيَوِيَّته أو نشاطِه، ومِنْهُ: اللَّعِبُ - وهو ضدُّ الجِدِّ - وهُوَ تَسَيُّبٌ في الحَرَكَةِ واضْطِرابٌ، أيْ: عدَمُ اسْتِقامَةٍ أو عدَمُ قَصْدٍ في الاتِّجاه والتَّصَرُّف[1].ومعنى قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ أيْ: إقْبالًا علَى ما يَجْلِبُ السُّرورَ، ويَقْطَعُ الوَقْتَ الحاضِرَ بالغُرُورِ[2].

3) ﴿وَغَرَّتۡهُمُ﴾: غرَّه يغُرُّه، بمعنَى: خدَعَه، والغرُورُ: الخديعَةُ[3]، والغُرور: كلُّ ما يغرُّ الإنسان من مالٍ وجاهٍ وشهوةٍ وشيطان، وقد فُسِّر بالشيطان؛ إذ هو أخبثُ الغارِّين، والدُّنيا كما قيل: الدُّنيا تَغُرُّ وتَضُرُّ وتَمُرُّ[4]. والغِرَّةُ: الغفلَةُ[5]، وفرَّقَ الرّاغبُ بَيْنَ الغِرَّة والغِرارِ؛ بأنَّ الغِرَّةَ: غَفْلَةٌ في اليَقَظَةِ، والغِرارَ: غَفْلَةٌ مَعَ غَفْوَةٍ[6].ومعنى قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ أي: خَدَعَهُم عاجِلُ ما هُمْ فِيهِ مِنَ العَيْشِ والدَّعة[7].

4) ﴿نَنسَىٰهُمۡ﴾: النُّون والسِّينُ والياءُ تدلُّ تصريفاتُهُ على مَعْنَيين: أحدهما: إغفالُ الشَّيءِ، والآخرُ: تَرْكُهُ[8]، فَمِنَ الأوَّلِ قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: 286]، وحقيقةُ النِّسيانِ: ذُهُولُ القَلْبِ عَنْ مَعْلُومٍ[9]، ومِنَ الآخَرِ قولُ اللّه ﷻ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾؛ فإنَّ معناه: نترُكُهم في العَذابِ، كما تَرَكُوا العَمَلَ في الدُّنْيا لِلِقاءِ اللّهِ تعالَى يَوْمَ القِيامَة[10].

وقد عبَّر الرّاغبُ عن النِّسيانِ الجامعِ لقِسْمَيْهِ بقولِه: (تَرْكُ الإنْسانِ ضَبْطَ ما اسْتودِعَ، إمّا لضَعْفِ قَلْبِه، وإمّا عَن غَفْلَةٍ، وإمّا عَنْ قَصْدٍ حَتَّى يَنْحَذِفَ عَنِ القَلْبِ ذِكْرُهُ)[11].

5) ﴿يَجۡحَدُونَ﴾: الجيمُ والحاءُ والدّالُ تدور اشتقاقاتُها على قِلَّةِ الخيْرِ، ومنه قولُهم:

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لعب).
(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/409.
(3) الجوهري، الصّحاح: (غرر).
(4) الراغب، المفردات: (غرَّ).
(5) الفيّومي، المصباح المنير: (غرر).
(6) الرّاغب، المفردات: (غرر).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 12/475.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نسي).
(9) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/346.
(10) ابن جرير، جامع البيان: 12/476.
(11) الرّاغب، المفردات: (نسي).

عامٌ جَحِدٌ، أي: قليلُ المطَرِ[1]، ورجُلٌ جَحِدٌ: شحيحٌ قليلُ الخيرِ يُظْهِرُ الفقْرَ، وحقيقةُ الجحودِ: نَفْيُ ما في القَلْبِ إثْباتُهُ، وإثباتُ ما في القَلْبِ نَفْيُهُ[2]، ومنه قولُ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النّمل: 14]. والجَحْدُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ هو إنكارُ الأمْرِ المَعْروفِ، أي: الإنكارُ معَ العِلْمِ بوقوعِ ما يُنْكَرُ؛ فهو نفيُ ما يَعْلَمُ النّافي ثُبوتَهُ، فيكون ذَلِكَ إنكارَ مكابَرةٍ[3].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

من أسبابِ سُوءِ المصيرِ، اللّهوُ في الدّنيا، واللّعبُ بالدِّينِ، ومن نَسِيَ يُنسَى

بيَّن اللهُ تعالى في هذه الآية أنَّ الذين حَرَمهم اللهُ سُبحانَهُ من نَعيمِ الآخِرَةِ هُمُ الذين جَعَلوا الدّينَ - الذي شرَعَهُ اللهُ ﷻ وأمَرَهُم باتِّباعِهِ - سُخْرِيَّةً ولَعِبًا، وخَدَعَهم عاجِلُ ما هم فيهِ مِنَ العَيْشِ والدَّعَةِ عَنِ العمَلِ لِلآخِرَةِ، حَتَّى أتَتْهُمُ المَنيَّةُ، ففي يومِ القيامَةِ يَتْرُكُهُم اللهُ تعالى في العَذابِ المُبينِ جياعًا عِطاشًا كَما تَرَكوا العَمَلَ لِلقاءِ يَوْمِهِم هذا، ورَفَضوا الاسْتِعْدادَ لَهُ بِإتْعابِ أبْدانِهِم في طاعَةِ اللهِ سُبحانَهُ، ولإنكارِهِم أدلَّةَ اللهِ ﷻ وبراهينَهُ مَعَ علْمِهِم بأنَّها حقٌّ[4].

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى تحريمِ اتِّخاذِ شيءٍ من الدِّينِ - صغيرًا أو كبيرًا - سُخريَّةً وعبثًا، والتَّحذيرِ من الاغترارِ بالدُّنيا حتى لا ينسى العبدُ آخرتَه وما يُعِدُّ لها ممّا ينفعه فيها من الإيمانِ وصالحِ الأعمالِ؛ فالجزاءُ يومَ القيامةِ يكونُ بحسَبِ أعمالِ الناسِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِه تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾، عَمّا قَبْلَهُ:

بَيانُ حَقيقَةِ الكُفْرِ المانِعَةِ أصْحابَها مِنَ النَّعيمِ في الآخِرَةِ

فُصِلَ قولُ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ عمّا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جحد).
(2) الرّاغب، المفردات: (جحد).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/199.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 12/474 - 475، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 156.

قَبْلَهُ؛ لوقوعِ صدْرِ الجملَةِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صِفَةً لـ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مِنَ الآيَةِ قبلها، وشَأْنُ الصِّفَةِ ألّا تُعْطَفَ على المَوْصوفِ.

ويَجوزُ أن يَكونَ الاسمُ الموصولُ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محلِّ رفعٍ بالابتداءِ، ويكونُ فصلُ الجملَةِ عمّا قبلَها لِما بينَهُما مِن كمالِ الاتِّصالِ؛ لوقوعِ جملةِ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ بيانًا لِما قَبْلَها.

ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ الفصْلُ لِما بَيْنَ الجُملَتَيْنِ مِن شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ، وهو المَعْروف بالاسْتِئنافِ البيانيِّ، وذلك أنَّ قولَهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يُثيرُ في نفسِ المتَلَقّي سؤالًا: ما حقيقةُ هؤلاءِ الكافرينَ؟ أهُمُ المتلبِّسونَ بكُفْرِ النِّعْمَةِ؟ فجاء الجوابُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾؛ لبيانِ أنَّ المرادَ بالكُفْرِ الكُفْرُ الأكْبَرُ الذي لا يجتَمِعُ معَ أصلِ التَّوحيدِ.

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ بلفْظِ ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾:

قالَ اللهُ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾، ولَمْ يَرِدِ النَّظْمُ القرآنيُّ: (الّذين اتَّخَذوا اللَّهْوَ واللَّعبَ دينًا)، وذلك لِتَصْديرِ جُملة الصِّلَةِ بالفعلِ ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾، وهم لم يَجْعَلوا كلَّ ما هو لَهْوٌ ولعبٌ دينًا يتَدَيَّنونَ به، بَل عمَدوا إلى أن يبْتَدِعوا دينًا، فجمعوا لهُ أشياءَ مِنَ اللَّهْوِ واللَّعب، وسمَّوها: دينًا، فكان قولُهُ سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ أدلَّ على هذا المُرادِ[1].

ابْتِداعُ أَشْياءَ مِنَ اللَّهْوِ واللَّعِبِ، وَجَعْلُها دِينًا: طَرِيقَةُ الكَفَرَةِ

دَلالَةُ عودِ الضّميرِ في ﴿دِينَهُمْ﴾ على الكافِرين:

إضافَةُ الدّينِ إلى الكافرينَ في ﴿دِينَهُمْ﴾ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾؛ تَحْقيرٌ لَهُ وإظهارٌ لبُطلانِهِ، فهو لَيْسَ دينًا للهِ تعالى الذي شرعَهُ وأمَرَهم بالتزامِهِ، وإنَّما هو دينُهُمُ الذي ابتدَعوهُ، ولفَّقوهُ مِنْ أشْياءَ هيَ مِنْ جِنْسِ اللَّهْوِ واللَّعِبِ.

يُضافُ الدِّينُ إِلَى المولَى بِاعْتِبارِهِ شَرَعَهُ، وإلى البَشرِ بِاعْتِبارِهِمْ أُمِرُوا بِالتِزامِهِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/295.

ويَجوز أن تكون الإضافَةُ إليهمْ باعتبارِهِمْ قد أُمِروا بالتزامِه[1]؛ فإنَّ الدّين يُضافُ إلى اللّهِ تعالى باعتبار أنَّه سُبحانَهُ الذي شرَعَهُ، وأمرَ به، ويُضافُ إلى الخَلْقِ باعتبارِهم أُمِروا بالتزامِهِ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بلفْظِ ﴿دِينَهُمْ﴾ دونَ (ملَّتَهُمْ):

لفظةُ الدِّين فيها معنَى العادةِ والمجازاةِ، وهو مُصطلحٌ عندَ كلِّ الأُممِ

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾، آثرَ فيه التَّعبيرَ بالدّين دون الملَّة لوجودِ فرقٍ بينهما؛ فالملَّة تُطلقُ على السُّنَّة والطَّريقة، واستُعيرت لإطلاقها على عقائدِ الشَّريعة، وصارت اسمًا لما شرعَهُ اللّه تعالى لعبادِهِ على لسان أنبيائه؛ لذلك تضاف إليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾، ولا تكاد تضافُ الملَّة إلّا إلى نبيٍّ؛ لأنَّها تقال اعتبارًا لمن يؤدّي الشَّرع عنِ اللّهِ؛ بخلافِ الدّين، فيُطلق على الجزاء، فيقالُ: كما تَدين تُدانُ.

وممّا يُفرَّقُ به بين الدّين والملَّة: أنَّ الدّينَ اسْمٌ لما عليه كلُّ واحدٍ؛ فيَصْدُقُ على ما يذهبُ إليه الإنسانُ، ويعتقدُ أنَّه يقرِّبُه إلى اللّه، وإن لم يكن فيه شرعٌ؛ بخلاف الملَّة فهي أخصُّ منَ الدّين؛ لذلك آثرَ التّعبيرَ بكلمة ﴿دِينَهُمْ﴾؛ لأنَّ ما عليه أهلُ الكُفرِ والشِّرك لا شرعَ فيه، إنَّما هو لهوٌ ولعبٌ[2].

بَراعَةُ التّعْبيرِ بالفعْلِ ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾:

التَّكامُلُ الدَّلاليُّ لِلألْفاظِ القُرآنيّةِ ذاتِ المَعاني المُتَعَدِّدَةِ، مُفيدٌ وسَديدٌ

الفعْلُ ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾ في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، هو منَ الغُرورِ؛ وهو الخداعُ، والمعنى: خدَعَتْهُم الحياةُ الدُّنيا بزخارِفِها، واعتِقادِهم أنَّها الغايةُ القُصْوَى. ويَجوزُ أن يَكونَ الفعلُ (غَرَّتْهُمُ) من الغَرِّ: وهو مِلْءُ الفَمِ، والمعنى: أشبعَتْهم الدُّنيا، وأبْطَرَتْهم[3]. والمعنيان متكامِلانِ: فالدُّنيا خدعَتْهم حتَّى ظنّوا أنَّها المُنْتهَى، فانغمَسوا فيها وفي شهَواتِها، حتَّى بَطِروا، وأُتْخِموا بِها.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/407.

(2) الفراء، معاني القرآن وإعرابه: 1/202.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/407، والشِّهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 4/79.

بَلاغَةُ المَجازِ العَقْلِيِّ في ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾:

قُـوَّةُ الطَّمَعِ فِي مُتَعَلَّقاتِ الدُّنْيا حاجِبَةٌ عَنْ طَلَبِ الدِّينِ الحَقِّ

في إسْنادِ الفعلِ ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾ في قَوْلِ اللّهِ: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، إلى الحياة الدُّنيا مجازٌ عقليٌّ؛ وذلكَ لأنَّ الحياةَ الدُّنيا لا تَغُرُّ، وإنَّما يحصُلُ الغرورُ فيها، مِنْ جِهَة أنَّ الإنْسانَ يَطْمَعُ في طولِ العُمُرِ وسعَةِ العيشِ ووفرةِ المالِ، ونحو ذَلِكَ، فلِقوَّةِ رغبتِهِ في هذِهِ الأشْياءِ يَصيرُ مَحْجوبًا عَن طلَبِ الدّينِ الحقِّ[1].

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ بالفعْلِ الماضِي ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾:

الاغْـتِرارُ بالدُّنيا مُتأصِّلٌ في طِباعِ الكافرين

قوله: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: جاء التَّعبيرُ فيه بالفعل الماضي دون المضارعِ، كأن يُقال: (ويغترّون بالحياة)؛ للدَّلالة على أنَّ اغترار الكافرين بالحياة الدُّنيا أمرٌ مركوزٌ في فِطَرهم وراسخٌ في قلوبهم؛ فكأنَّ غرور الحياة الدُّنيا مرتبطٌ بهم، وهم مرتبطون به، ومراعاةً لسياقِ الآية بالتَّعبير بفعل الاتِّخاذ بالفعل الماضي؛ حتى ينتظمَ الأفعالَ المذكورةَ وِزانٌ نَسَقيٌّ واحد.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بلفْظِ ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾:

هَـمُّ الـكَـفَـرَةِ مِـنَ الـدُّنْـيا هُـوَ الـحَـيـاةُ، لا ما يُحَصَّلُ فِيها مِنَ المَكارِمِ والخَيْراتِ

قالَ اللّهُ ﷻ: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فجاءَ التَّعبير بالحَياةِ، ولَمْ يَرِدِ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وغرَّتْهُم الدُّنيا)، وذلِكَ لِلْإيماءِ إلى أنَّ همَّهُم مِنْ هذِهِ الدُّنيا هو الحياةُ فيها، لا ما يُحَصَّلُ فيها مِنَ الخَيْراتِ والمكارِمِ التي هيَ سببٌ لِسَعادَةِ الحياةِ في الأولَى والآخِرَةِ، فأفادَ قولُهُ سُبحانَهُ: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أنَّ الحياةَ الدُّنيا غرَّتْهم، فأوْهَمَتْهم أنْ لا حَياةَ بَعْدَها[2].

بَلاغَةُ الاعْتِراضِ في: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾:

قولُ اللّه تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ اعتراضٌ مِنْ كلامِ اللّهِ تعالى يُعْلَنُ به، ويَسْمَعُهُ

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/253.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/296.

الفَريقانِ، وذَلِكَ أنَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ من كَلامِ أهْلِ الجنَّة، كما يدلُّ عليهِ تَصْديرُ هذه المَقالَةِ بـ ﴿قَالُواْ﴾، ولمّا اخْتَلَفَ الأُسْلوبُ في قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾؛ عُلِمَ أنَّ المتكلِّمَ اختلفَ، فالكلامُ المتقدِّمُ حكايةٌ لِكَلامِ أهْلِ الجنَّة، وقولُه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ من كلامِ اللهِ تعالى، وذَلِكَ لِلتَّصريحِ بِنِسْبَةِ ما لا تَصِحُّ نِسْبَتُهُ إلى غيرِهِ سُبحانَهُ[1].

ما لا تَصِحُّ نِسْبَتُهُ إلَى غَيْرِ اللهِ ﷻ، مَمْقوتٌ عندَ الله

دَلالَةُ الفاءِ في: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾، وبراعَةُ الإيجازِ:

الفاءُ في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ للتَّفريعِ على قولِ أصحابِ الجنَّةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، وهذا العَطْفُ بالفاءِ هو مِن قَبيلِ ما يُعرفُ بعَطْفِ التَّلْقينِ، وهو هُنا عَطْفُ كلامِ متكلِّمٍ على كلامِ متكلِّمٍ آخرَ، وفي نَظْمِ الكلامِ حذفٌ لفِعْلِ القولِ مع فاعلِهِ، وفيه براعَةٌ في الإيجاز؛ إذِ التَّقدير: (قال اللهُ: فاليَوْمَ نَنْساهم)، ويكونُ الغرضُ مِنْ جُمْلَةِ التَّفريعِ تَصْديقَ كلامِ أصحابِ الجنَّةِ.

الإنْخِداعُ بالدُّنْيا سَبَبٌ لِتَرْكِ الإنْقِيادِ لِشَرْعِ اللهِ تَعالَى

وجائزٌ أنْ يَكونَ التَّفريعُ في كَلامٍ واحدٍ، عِنْدَ مَنْ يرَى أنَّ قولَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ كلامٌ مستأنَفٌ مِنْ كلامِ اللهِ تعالى لا محكيٌّ عَن أصحابِ الجنَّة[2].

ويَحْتَمِلُ أن تكونَ الفاءُ فصيحَةً[3]، ويكونَ قولُهُ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ جوابَ شَرْطٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: إذا كانوا قد اتَّخذوا دينَهم لهوًا ولعبًا، وخدَعَتْهُم الدُّنيا، فألهَتْهم عَنِ الانْقيادِ لِشَرْعِ اللهِ تعالى ودينِهِ، حتَّى تركوهُ بالكُلِّيَّةِ، فجزاؤُهم: أنَّنا نَنْساهم كَما نَسوا لِقاءَ يَوْمِهم هذا.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/150.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/150.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/231، والآلوسي، روح المعاني: 4/366.

دَلالةُ التّعبيرِ باليومِ، في: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ دونَ غيرِه:

يـومُ القيامةِ عَسيرٌ، وهو على الكافرِ أَشدُّ عُسْرًا

آثرَ التَّعبيرَ بـ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ دونَ (الآن) مثلًا؛ لأنَّها تُستعمل للزمن الحاضر، كما قال الله لفرعون: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾، أمّا لفظ اليوم؛ فله أكثرُ من إطلاقٍ في اللُّغة؛ لذلك ليس المقصود به يومًا بعينه إنَّما يُرادُ به الزَّمنُ الحاضرُ الذي يحصل فيه الحسابُ والجزاءُ؛ لإظهار أنَّ حرمانَهم من الرَّحمة في هذا المشهدِ كان في أشدِّ أوقات احتياجهم إليها، فكان ذِكرُ اليوم له أثرٌ في تحسُّرهم وندمهِم وتوبيخهِم على الأيّام الَّتي ضيَّعوها في الدُّنيا من غير إيمانٍ ولا طاعة.

دَلالَةُ النِّسيانِ بَيْنَ الحَقِيقَةِ والمَجَازِ:

النِّسيانُ الواردُ في الآيةِ معناه التَّركُ لا الذُّهولُ أوِ الغَفْلةُ عِياذًا بالله

النِّسيانُ في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ يَحْتَمِلُ أن يَكونَ تَمْثيلًا؛ بِأنْ يكونَ اللهُ سُبحانَهُ قَد شبَّهَ مُعامَلَتَه مع هَؤُلاءِ بالمعاملَةِ مع مَن لا يُعْتَدُّ به، ولا يُلْتَفتُ إلَيْهِ، فيُنْسَى، والقَرينَةُ على إرادَةِ التَّمثيلِ لا الحقيقَةِ أنَّ اللهَ تعالى قد نفَى النِّسيانَ عَن نفسِهِ في نحوِ قولِه ﷻ: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه: 52]، فلا يصحُّ حَمْلُ النِّسيانِ في آيةِ الأعراف على هذا المعنى المنفيِّ[1]، والمختارُ أنَّ النِّسيانَ المُسنَدَ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى الله سُبحانَهُ نسيانٌ حقيقيٌّ، ولَكِنْ لا يُرادُ به الذُّهولُ عنْ معلوم؛ فإنَّ هذا منفيٌّ عنِ اللهِ تعالى، كَما في آيَةِ سورَةِ طَهَ المذكورَةِ آنفًا، وإنَّما يُرادُ به مُطْلَقُ التَّرْكِ، وهو إطلاقٌ لغويٌّ معروفٌ، ولا يَفتقرُ النَّظْمُ القرآنيُّ إلى حَمْلِ النِّسيانِ على المَجازِ في الإهْمالِ والتَّرك، باعْتِبارِهما مِن لوازمِ النِّسيانِ[2].

(1) الشِّهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 4/172.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/150.

بَلاغةُ الاسْتِعارةِ في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾:

إنَّما العِقابُ من جِنْسِ الذَّنْبِ

النِّسْيانُ لا يقعُ في حقّ الله تعالى مطلقًا، قال تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: 52]، وجاء التّعبير بالنّسيان في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ مشبِّهًا معاملتَه تعالى مع الكفّارِ، بمعاملةِ من نَسيَ عَبده من الخير، ولم يلتفت إليه[1]، بجامع التّرْكِ وعدمِ النّظر إليهم، فحَذَف المُشبَّهَ وهو حرمانُهم من نظرِهم إليه، وأَبقَى المشبَّه به، وهو نسيانُ السَّيِّد لعبدِهِ عديمِ الفائدة، على سبيل الاستعارة التصريحيّة التّبعية.

دَلالَةُ الكافِ في قَوْلِ اللهِ: ﴿كَمَا نَسُوا۟﴾:

الجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، وكَما يَدِينُ الفتَى يُدانُ

اختارَ التعبيرَ بالكاف دون غيرها نحو: (مثل)؛ لأنَّ الكافَ تتعدَّدُ معانيها، فمنها: التَّشبيهُ والتَّعليلُ بخلاف (مِثل)، فهي للتَّشبيه فقط؛ لذلك فالكافُ في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ للتَّعليل[2]، فهي كالواردَةِ في قولِ الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: 198]، والمعنى: فاليومَ نَنْساهم؛ لأنَّهم نَسوا لقاءَ يَوْمِهِم هَذا.

وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّ حرمانَهم من رحمةِ الله تعالى كان مقابلًا لإهمالهم التَّصديقَ باللِّقاء، وبذلك يكون الجزاءُ من جنسِ العمل.

سِرُّ التعليق بِنسيانِهِمُ اللّقاءَ:

لا يقوَى قلْبُ العبدِ على نِسيانِ خالقِهِ، إلّا إذا قسَا وجَمَدَ إحساسُه

جاء التَّعبيرُ القرآنيُّ بقوله: ﴿كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ دون أن يقولَ: (كما نَسُوني)؛ لتنزيهِهِ ﷻ عن هذا النِّسيان؛ لأنَّه الفعّال لما يريد، وهو الحيُّ القيُّوم، فعطاؤه متجدِّد ونِعَمُهُ متواصلةٌ، فلا ينبغي لإنسانٍ عاقلٍ أن ينسى المنعِمَ عليه؛ وما وقعَ من الكفّار هو خروجٌ عن منطقِ العقلِ والفطرة.

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 9/377.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 5/62.

بَلاغَةُ الإضافَةِ في المركّبِ الإضافيّ ﴿يَوْمِهِمْ﴾:

شَناعَةُ تَرْكِ المَرْءِ أَمْرًا مِنْ مُهِمَّاتِ مُتَعَلَّقاتِهِ

في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾، أُضيفَ اليَوْمُ إلى الضَّميرِ العائدِ إلى الكافِرينَ في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾؛ لزيادَةِ التَّشنيعِ عليهِمْ، وأنَّهم نسوا ما لا يَنْبَغي لَهم أن ينسَوْهُ؛ إذِ اليومُ يومُهم، وكيفَ ينسَى المَرءُ أمرًا مِن متعلَّقاتِهِ؟

دَلالَةُ الإشارَةِ في لفْظِ ﴿هَٰذَا﴾:

المُبالَغَةُ في تَقْريعِ الكافِرينَ؛ لِغَفْلَتِهِمْ عَمَّا كانَ مُحَقَّقَ الوُقوعِ

دلَّ اسمُ الإشارَةِ ﴿هَٰذَا﴾ مِنْ قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ على المبالغَةِ في تَقْريعِهِمْ؛ حيثُ أُشيرَ إلى اليَوْمِ تَحْقيقًا لَهُ، وأنَّه اليومُ نَفْسُهُ الذي غفَلَ عنه هَؤُلاءِ الكفرَةُ وجحَدوهُ، فهو نَظيرُ قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 103].

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِفِعْلِ الكَوْنِ ﴿كَانُوا۟﴾:

إصْرارُ الكُفّارِ عَلَى جَحْدِ الآياتِ الإلَهيَّةِ، واسْتِمْرارُهُمْ عَلَيْهِ

عُبِّرَ بِفِعْلِ الكوْنِ في قولِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ولم يَرِدِ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وَما بِآياتِنا يَجْحَدونَ)؛ للإشْعارِ بأنَّ جَحْدَهم لَمْ يكُنْ عارِضًا، وإنَّما كانوا مُنْكِرينَ بأنَّها مِنْ عِنْدِ اللّه ﷻ إنكارًا مستَمِرًّا[1]، متأصِّلًا في نفوسهم.

نُكْتَةُ إضافَةِ ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾، في السِّياقِ:

إظْهارُ عَظيمِ قُبْحِ جَحْدِ آياتِ اللهِ تَعالَى

أُضيفَتِ الآياتُ إلى الضَّميرِ العائدِ إلى اللّه تعالى في قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾؛ تعظيمًا للمُضافِ وهو الآياتُ، ويُقَوّيه مَجيءُ الضَّميرِ بِأُسْلوبِ العظَمَةِ؛ زيادةً في المَهابَةِ وإدخالِ الرَّوعةِ في نفوسِ المُتلَقّينَ.

وفي تَعْظيمِ الآياتِ على النَّحوِ المتقدِّمِ إظهارٌ لبلوغِ قُبْحِ جَحْدِها درجةً عالية.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/231.

سِرُّ جَمْعِ الآياتِ بقوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾:

كَـثْرَةُ الآيـاتِ الإلَهِيَّةِ أَبْلَغُ فِي إقامَةِ الحُجَّةِ عَلَى مُنْكِرِيها

وذلك في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾، ففي جَمْعِ الآياتِ، زيادَةٌ في تقبيحِ جَحْدِهِم لَها، فإنَّهم لَوْ جَحَدوا آيةً واحدةً مِن آيات اللّه سُبحانَهُ؛ كان ذلك قبيحًا شَنيعًا، فكيف وقَدْ جحدوا آياتٍ من أدلةِ اللّه وبراهينِه مع عِلْمِهم بأنَّها حقٌّ؟

دَلالةُ تَقديم ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ على قولِهِ: ﴿يَجْحَدُونَ﴾:

تَـقـديـمُ شِـبْـهِ الجُملةِ لأهميَّةِ ما تمَّ تَقْديمُه

قدَّم القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظ الآيات لمزيد العنايةِ والاختصاصِ بهذه الآياتِ الكونيَّةِ والشَّرعيَّةِ، التي كان عليهم أن يتوصَّلوا بها إلى الإيمانِ بدلًا من الجحود والنُّكران.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾:

إحْضارُ مُوجِبِ العَذابِ فِي أَذْهانِ الكافِرِينَ، أَشَدُّ فِي حَسْرَتِهِمْ وَأَبْلَغُ فِي تَبْكِيتِهِمْ

في التَّعبيرِ بالفعلِ المُضارعِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾ في قَوْلِ اللّه: ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾، دونَ الماضي: (**جَحَدوا**) إظهارٌ لِشَنيعِ أعمالِهِمُ التي عملوها في صورَةِ ما يُعْمَلُ في الحالِ؛ ليكونَ موجبُ العذابِ أحضَرَ في أذْهانِهِم وقْتَ تعذيبِهِمْ، فيَكونَ ذلكَ أشدَّ في حسرَتِهِمْ وأبلغَ في تبكيتِهِمْ.

دَلالةُ تَرتيبِ أوصَافِ الكافرين، في هذه الآيةِ وما قبلَها:

للكافرين مَسْلكٌ وطريقةٌ، زاغوا بها عن صِراطِ الله المستقيمِ

جاءت هذه الأوصاف المتعدِّدة للكافرين لتجيبَ عن سؤالٍ: ما سبَبُ هذه التَّشديدات والعقوبات لهم؟ فكان الجواب؛ لأنَّهم كانوا كافرين، ثمَّ بعد ذلك بيَّن من حالِ كفرِهم أنَّهم اتَّخذوا دينَهم لهوًا ثمَّ لعبًا، ثمَّ غرَّتهم الحياة الدُّنيا، فكان عاقبة هذه الأحوالِ أنَّهم جحدوا بآياتِ اللّه، وذلك يدلُّ على حبِّهم الشَّديد للدُّنيا الَّذي هو رأسُ كلِّ خطيئة[1].

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/297.

المُتشابِهُ اللَّفْظِيُّ بين آيةِ الأعراف (51)، وآيةِ العنكبوت (64):

تَوجِيهُ تقْديمِ اللَّهوِ على اللَّعبِ، والانتباهُ إلى غُرورِ الدّنيا، والحَذرُ من نِسيانِ الآخرةِ

قدَّم النَّظمُ القرآنيُّ اللَّهوَ على اللَّعب في موضِعَين، هما: هنا في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾، وفي سورة العنكبوت في قوله: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت: 64]. وعِلَّةُ تقديم اللَّهو في سورة الأعراف؛ لأنَّ ذلك يكون يومَ القيامة، فذُكِرَ على ترتيب ما انقَضَى، وبدأ بما به الإنسانُ انتهى من الحالين. وأمّا في سورة العنكبوت؛ فلأنَّ زمانَ الشَّباب الذي يكون فيه اللَّهو أكثرُ من زمانِ الصِّبا الذي يكون فيه اللَّعب. وإنَّما ذكر ذلك هنا لأنَّ المرادَ زمانُ الدُّنيا، وأنه سريعُ الانقضاء قليلُ البقاء.

وقدَّم اللَّعبَ على اللَّهو في مواضعَ أربعة، هي: الأنعام في الآيتين: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ [الأنعام: 32]، وقوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الأنعام: 70]، وفي سورة محمد ﷺ في آيةٍ واحدة: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦﴾ [محمد: 36]، وفي سورة الحديد في آيةٍ واحدةٍ كذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد: 20].

وعِلَّةُ تقديم اللَّعب على اللَّهو بأنَّ اللَّعب يكون زمنَ الصِّبا، واللَّهوَ يكون زمنَ الشَّباب؛ وزمانُ الصِّبا متقدِّمٌ على زمانِ اللَّهو[1].

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 1/121.

تَوْجِيهُ المُتشابِهِ اللَّفْظِيِّ:

دِقَّـــةُ الـنَّـظْـمِ القُرْآنِيِّ فِي اخْتِيارِ الأَلْفاظِ المُلائِمَةِ لِسِياقاتِها

قالَ اللهُ سُبحانَهُ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾، وقال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [غافر: 63]، ووجهُ المغايَرَةِ بينَهُما: أنَّ آيةَ الأعرافِ وردَ فيها قولُهُ تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾، فلمّا كان التَّعبيرُ بنون العظمَةِ؛ ناسبَهُ إضافَةُ الآياتِ إلى ضمير (نا) الدّالَّةِ على العظَمَةِ في قولِهِ: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾، بخلاف آيةِ غافرٍ فقد صُدِّرت بقولِهِ ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ﴾، فلمّا كان مِن إفْكِ هؤلاءِ إشْراكُهُم باللهِ تعالى وعدَمُ توحيدِهِم لَهُ؛ ناسبَهُ إضافةُ الآياتِ إلى الاسم الأحسَن (اللهِ) بقولِهِ تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

اللَّهْوُ واللَّعِبُ:

لِلَّعِبِ واللَّهوِ دَلالاتٌ واسِعةٌ، يَتَّصِفُ بها الظَّالمون، ولها عمومٌ وخُصوصٌ

اللَّهْوُ واللَّعِبُ متقاربانِ، حتَّى فسَّر بعضُ أهلِ العربيَّةِ أحدَ اللَّفظَين بالآخَرِ، كما فعلَ ابنُ الأثير؛ إذ قالَ: "اللَّهْوُ: اللَّعِبُ، يُقالُ: لَهَوْتُ بالشَّيْءِ أَلْهو لَهْوًا، وتَلَهَّيْتُ به؛ إذا لعبتُ به، وتشاغلتُ، وغفلتُ به عَنْ غَيْرِهِ"[1]، وقد يَكونُ قصْدُهُ التَّقريبَ، كما هو طريقةُ كثيرٍ مِن أصْحابِ المُعْجَماتِ في جُملةٍ مِنَ الألفاظِ الّتي يُريدونَ بيانَ حقيقَتِها.

والتَّحقيقُ أنَّ بينَهُما فرْقًا، وقدِ اختلَفَ أهلُ العِلْمِ في محلِّ الفَرْقِ بينَهما: فاختار أبو السُّعود أنَّ اللَّهْوَ صرفُ الهمِّ إلى ما لا يَحْسُن أن يُصْرفَ إلَيْهِ، بخلاف اللَّعِبِ؛ فإنَّهُ طلبُ الفرحِ بما لا يَحْسُنُ أن يُطْلَبَ[2].

والأصَحُّ أنَّ بينَهُما عمومًا وخصوصًا وجهيًّا؛ وذلك أنَّ حقيقةَ اللَّعِبِ: عملٌ أو قولٌ ليسَتْ لَهُ غايةٌ مفيدَةٌ، وإنَّما غايتُهُ إراحَةُ البالِ،

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (لها).
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/231.

وتقصيرُ الوقتِ، واستجلابُ العقولِ في حالِ ضَعفِها، كَما هو أكثَرُ عملِ الصِّبيانِ، بخلاف اللَّهْوِ؛ فإنَّه ما يشْتَغِلُ به الإنسانُ ممّا تميلُ إليه النَّفسُ وترتاحُ، ولا يتعَبُ عَقْلُهُ في الاشتغالِ به، فلا يُطْلَقُ اللَّهْوُ إلّا على ما فيه لذَّةٌ واسْتِمْتاعٌ وملاءَمَةٌ للشَّهْوَةِ.

فيجتَمِعُ اللَّهْوُ واللَّعِبُ في العمَلِ الذي فيه مُلاءَمةٌ، وينفَرِدُ اللَّعِبُ في نحوِ لعبِ الصِّبيانِ، وينفردُ اللَّهْوُ في نَحْوِ الميسرِ والصَّيْدِ[1].

الغُرُورُ والخِداع:

غـرّتِ الـظَّـالـمَ شَهواتُه، فصار لـهـا عـبـدًا، وخَدعتْهُ الدّنيا، فضَيّعَ بها قصْدًا

الغُرورُ: فعلٌ تظهَرُ فيه غَفْلَةُ المغرورِ وقِلَّةُ فِطْنَتِه؛ لأنَّه سكونُ النَّفس إلى ما يوافق الهَوَى ويميلُ إِلَيْهِ الطَّبْعُ، بخلافِ الخِداعِ: فإنَّه يعْتَمِدُ على براعَةِ الخادِعِ.

فبينَ الغُرورِ والخداعِ تقارُبٌ دِلاليٌّ؛ فهُما يَشْتَرِكانِ في معنًى عامٍّ؛ وهو الإيقاعُ في الشَّرِّ، ويختصُّ كلٌّ منهما بمَعْنًى: فالخداعُ: يعْتَمِدُ على براعَةِ الخادِعِ، والغرورُ: يعتَمِدُ على غفلةِ المغرورِ وقلَّةِ فِطْنَتِه[2].

الجُحُودُ والإنْكارُ:

الظَّالمُ تخطَّى إنكارَ آياتِ الله إلى الـجُـحـودِ بـهـا، مـع أنَّـه مدركٌ صِدْقَها

الجُحودُ والإنْكارُ يَردان مُصاحبَيْنِ للكُفْرِ، ويفْتَرِقانِ مِنْ ثلاثَةِ أوجُهٍ[3]:

أحدها: أنَّ ضدَّ الجحودِ: الاعترافُ، وضدَّ الإنكارِ: الإقرارُ.

ثانيها: أنَّ الجحودَ يكون معَ معرفةِ القَلْبِ بصحَّةِ ما يجْحَدُهُ، لكنَّ الجاحِدَ لا يقرُّهُ بلسانِه، وممّا يدلُّ على أنَّ الجحودَ إنكارٌ معَ عِلْمِ قولُ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النّمل: 14]، وأمّا الإنكارُ؛ فأعَمُّ مِنَ الجحودِ، والغالبُ أن يكونَ بسبَبِ جَهْلِ صاحبِهِ بما أنْكَرَهُ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/193.
(2) محمّد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 235 - 236.
(3) محمد الدّوري، دقائق الفروق اللغوية، ص: 219 - 220.

ثالثُها: أنَّ الجحودَ يكونُ في إنكارِ الأمرِ الظّاهرِ؛ لسَبْقِ المعرفَةِ بهِ، ولذا يُستعمَلُ في القرآنِ الكريمِ لتكذيبِ آياتِ اللهِ سُبحانَهُ؛ إشعارًا بأنَّ آياتِهِ ﷻ مِنَ الوُضوحِ والظُّهورِ بحيث يُدْرِكُ كُلُّ أحدٍ صِدْقَها، كما في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾، وأمّا الإنكارُ؛ فيكون لِما خَفيَتْ حِكْمَتُهُ على المَرْء، ولذا لَمْ يُستعمَلِ الإنكارُ مع الآياتِ في القُرْآنِ الكَريمِ إلّا مَعَ ضَرْبٍ مِنْ ضُروبِ التَّخصيصِ، كما في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: 81].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»